مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠٠٧/٢٥

الأحد ٢٤ حزيران

تذكار مولد النبي الكريم

والسابق المجيد يوحنا المعمدان

اللحن الثالث

إنجيل السَحَر

الرسالة

(رومية ١٣: ١١-١٤؛ ١:١٤-٤)

يا إخوة إنّ خلاصَنا الآن أقربُ ممَّا كان حين آمنَّا* قد تناهى الليلُ واقتربَ النهارُ فلندعْ عنَّا أعمالَ الظلمةِ ونلبسْ أسلحةَ النور* لنسلُكَنَّ سلوكاً لائقاً كما في النهار لا بالقُصوفِ والسُّكرِ ولا بالمضاجعِ والعهرِ ولا بالخِصامِ والحسد* بل البَسوا الربَّ يسوعَ المسيحِ ولا تهتمُّوا بأجسادكم لقضاءِ شهواتها* مَن كان ضعيفاً في الإيمانِ فاتَّخِذوهُ بغيرِ مباحثةٍ في الآراءِ* مِن الناس مَن يعتقِدُ أنَّ لهُ أن يأكُلَ كُلَّ شيءٍ. أمَّا الضعيفُ فيأكُلُ بُقولاً* فلا يزدرِ الذي يأكُلُ مَن لا يأكُلُ ولا يدِنِ الذي لا يأكُلُ مَن يأكُلُ فإنَّ اللهَ قد اتَّخذهُ* مَن أنت يا مَن تدينُ عبداً أجنبيًّا. إنَّه لمولاهُ يثبتُ أو يسقُط. لكنَّه سيُثبَّتُ لأنَّ اللهَ قادرٌ على أن يُثبِّتَه.

من وحي أنطاكية

«ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلُبَ شاوُلَ. ولما وجدَهُ جاءَ بهِ إلى أنطاكية. فحدثَ أنّهما اجتمعا في الكنيسةِ سنةً كاملةً وعلّما جمْعًا غفيرًا. ودُعيَ التلاميذُ مسيحيينَ في أنطاكيةَ أولاً» (أع ١١: ٢٥-٢٦). هذا الكلام الذي دوّنه لوقا الإنجيلي، واضع كتاب أعمال الرسل، يتجاوز من حيث أهميّته البعد التاريخي والجغرافي، بمعنى أن مدلوله اللاهوتي والفكري أبعد مدىً من مجرّد معلومة وضعيّة هي أن تلاميذ يسوع أُطلق عليهم، في أنطاكية أولاً، لقب «مسيحيين». أين يكمن هذا المدلول؟ إذا كانت المسيحية أكثر من مجرد تسمية، إذا كانت هويّة تطبع الإنسان في عمق وجوده، فإن كل مسيحي، بمعنىً ما، أنطاكيّ، أي إنه ينتمي إلى هذا المدى الروحي الذي أتاح للمسيحية، في النصف الثاني من القرن الأول، أن تخرج من نطاق اليهودية الضيّق ليصبح الإيمان بيسوع المسيح ممكنًا من دون الختان، أي من دون المرور باليهودية. بإزاء هذه الحقيقة، ليس من المصادفة بمكان أن يكون الرسول بولس قد جعل من أنطاكية نقطة انطلاق رحلاته التبشيرية باتجاه آسيا وأوروبا. فلقد دافع بولس، طوال حياته، عن المبدأ القائل بأن الآتين إلى المسيحية من الأمم لا يحتاجون إلى أن يصبحوا يهودًا أولاً، بواسطة الختان، وذلك كخطوة أولى على طريق انضمامهم إلى المسيحية. وشهدت مدينة أنطاكية النقاش الشهير الذي حصل بين هامتَيْ الرسل، بطرس وبولس، في ما يختصّ بختانة القادمين إلى المسيحية من الأمم. ويروي بولس، في رسالته إلى أهل غلاطية، أن بطرس مال إلى مسايرة الغلاة من المسيحيين الآتين من اليهودية، ما دفعه إلى توبيخه والدفاع عن وجهة نظره القائلة بأن الوثنيين لا يحتاجون إلا إلى المعمودية ليصبحوا مسيحيين (غلا ٢: ١١-١٤).

هل كانت أنطاكية تتمتع بموقع مميز يؤهّلها لممارسة مثل هذا الدور الذي اضطلعت به في المسيحية الأولى؟ لقد كانت أنطاكية عاصمة ولاية «المشرق» الرومانية، لذا يحمل بطريركها، إلى اليوم، لقب «بطريرك أنطاكية وسائر المشرق». وهي، من حيث أهميتها، ثالثة مدن الإمبراطورية، بعد روما والإسكندرية.

الإنـجيل

(لوقا ١: ١–٢٥، ٥٧–٦٨، ٧٦–٨٠)

إذ كان كثيرون قد أخذوا في تـأليف قِصصِ الأمور المتيقَّنةِ عندنا، كما سلَّمها إلينا الذين كانوا معاينين منذ البدءِ وخُدَّاماً لها، رأيت أنا أيضاً وقد تتبَّعتُ جميع الأشياء من الأولِ بتدقيقٍ أن أكتبَها لك على الترتيبِ أيُّـهـا الـعـزيـز ثـاوفـيـلُـس، لتعرفَ صحَّةَ الكلام الذي وُعِظتَ بـه* كـان فـي أيـام هـيـرودسَ مـلكِ الـيـهـوديَّة كـاهـنٌ اسمه زخـريـا مـن فرقة أبيًّا وامرأتُهُ من بنات هـرونَ اسمُـهـا أليصابات* وكان كلاهما بارَّينِ أمام الـلـه سـائرَينِ فـي جـمـيع وصايا الربّ وأحكامِه بغير لومٍ* ولم يكن لهما ولدٌ لأنَّ ألـيـصـابـات كـانت عـاقراً، وكانا كلاهما قد تقدَّما في أيَّامهما* وبينما كان يُكَهِّنُ في نوبةِ فرقتهِ أمام الله أصابته القُرعةُ على عادة الكهنوت أن يدخلَ هيكلَ الـربّ ويـبـخّر* وكـان كلُّ جـمـهـور الشعب يصلّي خارجاً في وقت التبخير* فتراءى له ملاكُ الربّ واقفاً عـن يـمـينِ مذبح الـبـخـور* فاضطرب زخريا حين رآهُ ووقع عليهِ خوفٌ* فقال لهُ الملاكُ لا تخَفْ يا زخريا. فإنَّ طِلبَتَكَ قد استُجيبت،

وقـد اتّـسـمـت فـي الـعـالـم الـقـديـم، بجمـالـهـا، حتى أن الخطيب الشهير ليبانيوس (٣١٤–٣٩٣)، ابـــن أنطاكية الذي عـاش وكتب وكـأن المسيحية غير موجودة مع انه عرف وقـدّر أفراداً مسـيـحـيـين كـالآبـاء بـاسـيـلـيوس الكبير وغريغوريوس اللاهوتي ويوحنا الذهبي الفم، كان يتغنّى بضاحية أنطاكية المدعوة «دافني»، بسبب كثافة خضرتها ونضارة حدائقها، ويقول إن الآلهة، لو قرّرت الهبوط إلى الأرض والسكن فيها، لاتّخذت من «دافني» مكانًا لإقامتها.

بلغ عدد سكان أنطاكية، في العصور الأولى للمسيحية، نحو الخمسمائة ألف، وكانوا مزيجًا من الأغارقة والسريان واليهود. والحق أن هذا الامتزاج الحضاري الواسع شكّل المناخ الثقافي الملائم الذي سمح بخروج الإنجيل من النطاق الـيـهـودي إلى رحـاب الـعـالـمـيـة. فإنطاكية كانت تجمع، في هويّتها الحضارية، الثقافة الإغريقية إلى جانب الفكر السامي المنبثق من وجود الكثير من المشارقة فيها، وذلك فضلاً عن اليهود المتهلينين الذين كـانـوا يـقرأون العهد القديم باليونانية.

هذا التلاقي الحضاري بين التيارات الآتية من الغرب اليوناني وتلك الآتية من الشرق، على تنوّع ثقافاته، كان المناخ الذي نشأت فيه معظم الكتابات المسيحية التي ستُعرف، فيما بعد، بـ«العهد الجديد». فبالإضافة إلى رسائل بولس التي مهرها المدى الأنطاكي بخاتمه، يُجمع دارسو العهد الجديد اليوم على أن كثيرًا من كتب العهد الجديد الأخرى أبصر النور في محيط أنطاكية. ففضلاً عن إنجيل لوقا وكتاب الأعمال، اللذين من المرجّح أن يكون لوقا، رفيق بولس، ذو الأصل الأنطاكي قد وضعهما، يرى الشرّاح أن إنجيل متى نشأ في نواحي سورية، وذلك انطلاقًا من دراسة المعطيات الجغرافية والحياتية التي يعكسها نصّ الإنجيل. واللافت أن الأناجيل الأربعة من دون استثناء تقول بإمكان انضمام الوثنيين إلى المسيحية على أساس التعليم والمعمودية (متى ٢٨: ١٩–٢٠)، ما يدلّ على مدى تأثّرها بالبشارة البولسية التي كان المناخ الثقافي الأنطاكي واحدًا من أبرز مكوّناتها.

يجنح المؤرّخون وعلماء الكتاب المقدس إلى الاعتبار أن تسمية «مسيحيين»، التي التصقت بتلاميذ يسوع للمرة الأولى في أنطاكية، قبل أن تنتشر في أنحاء العالم الروماني كافة، إنما هي ذات أصل وثني. فالمسيحيون انفسهم كانوا يدعون بعضهم بعضًا «إخوة» أو «تلاميذ»، كما يتّضح من بعض نصوص العهد الجديد. أما اليهود فكانوا يشيرون إلى المسيحيين بوصفهم «ناصريين» نسبةً إلى معلّمهم الذي من الناصرة. وليس من المستبعد أن يكون لقب «مسيحيين» قد استُخدم، للمرة الأولى، بدافع التهكّم. غير أن تلاميذ يسوع لم يجدوا غضاضةً في اقتبال هذا اللقب، فلم تمضِ بضعة عقود إلا وفرض ذاته تسميةً شبه وحيدة لمعشر المنتمين إلى الإيمان بيسوع.

فضلاً عن كتابات العهد الجديد التي أشرنا إليها أعلاه، والتي يرجَّح تكوّنها في الإطار الأنطاكي، أنتجت أنطاكية عددًا من الكتب الأخرى التي حظيت بمكانة مرموقة لدى المسيحيين، رغم عدم اندراجها في إطار ما يُعرف بـ«قانون» العهد الجديد، أي الكتب القانونية التي تشكّل مصدر العقيدة ومعيار السلوك. ولعلّ أبرز هذه الكتب، من خارج قانون العهد الجديد، هو كتاب «تعليم الرسل الإثني عشر» أو «الذيذاخي» الذي يرجَّح أن زمن كتابته يعود إلى القرن الميلادي الثاني. وتشير بعض

وامرأتك أليصابات ستلدُ لك ابناً فتسمّيه يوحنّا* ويكونُ لكَ فرحٌ وابتهاجٌ ويفرحُ كثيرون بمولده، لأنَّه يكون عظيماً أمام الربّ ولا يشرب خمراً ولا مُسْكِراً، ويمتلئُ من الروح القدس وهو في بطنِ أمّه بعدُ، ويردُّ كثيرين من بني إسرائيلَ إلى الربِّ إلههم* وهو يتقدَّمُ أمامه بروحِ إيليَّا وقوَّته ليردَّ قلوبَ الآباءِ إلى الأبناء والعُصاةَ إلى حكمةِ الأبرار ويهيِّءُ للرب شعباً مستعداً* فقال زخريا للملاكِ بِمَ أعلم هذا. فإنّي أنا شيخٌ وامرأتي قد تقدَّمت في أيامها* فأجاب الملاك وقال أنا جبرائيل الواقفُ أمام الله وقد أُرسِلتُ لأُكلِّمك وأُبشِّرك بهذا* وها إنَّك تكون صامتاً فلا تستطيعُ أن تتكلَّم إلى يومَ يكون هذا. لأنَّك لم تُصدِّقْ كلامي الذي سيتمُّ في أوانه* وكان الشعبُ منتظرين زخريا متعجّبين من إبطائه في الهيكل* فلمَّا خرج لم يستطعْ أن يُكلِّمَهم فعلِموا أنَّه قد رأى رؤيا في الهيكل. وكان يُشير إليهم وبقي أبكم* ولمَّا تمَّت أيَّامُ خِدمته مضى إلى بيته* ومن بعدِ تلك الأيام حبلت أليصابات امرأتُهُ فاختبأت خمسةَ أشهرٍ قائلةً هكذا صنع بي الربُّ في الأيام التي نظر إليَّ فيها ليصرف

العناصر الداخلية في هذا النص، ولاسيّما تلك المتعلّقة بالجغرافيا، إلى نشوئه في المدى الأنطاكي السوري. يتوقف هذا الكتاب عند مسائل تختصّ بتنظيم الجماعات المسيحية الأولى، متبنّيًا الفكرة اليهودية التقليدية بوجود طريقين، الأول للحياة والثاني للموت، على أن يستتبع هذا حرية الإنسان في اختياره واحدًا منهما. كما أنه يزوّدنا ببعض المعطيات الليتورجية القيّمة، وخصوصًا بالنص الذي كان يُستخدم في تقديس الخبز الإفخارستي. وتلفت في هذا الكتاب صورة الرئاسة في الجماعات المسيحية الأولى. فإلى جانب قادة الجماعة التقليديين من أساقفة وشمامسة، ثمة الأنبياء والمعلّمون والمبشّرون الجوّالون. والملاحظ أن كتاب «الذيذاخي» حظي، في الكنيسة الأولى، باحترام عظيم. فالمخطوطات القديمة تُدرجه إلى جانب نصوص العهد الجديد، كما أن بعض القوانين الكنسية اللاحقة تستند إليه، ما يشير إلى مكانته المرموقة. وثمة غير أب من آباء الكنيسة يقتبس منه.

شهود يهوه والمجيء الثاني

«حينئذٍ إنْ قالَ لكم أحدٌ هوذا المسيحُ هنا أو هناكَ فلا تُصدِّقوا. لأنَّه سيقومُ مُسحاءُ كذبةٌ وأنبياءُ كذبةٌ ويُعطُون آياتٍ عظيمةً وعجائبَ حتى يُضِلّوا لو أمكنَ المختارينَ أيضاً... أمَّا ذلكَ اليومُ وتلكَ الساعةُ فلا يعلمُ بهما أحدٌ ولا ملائكةُ السمواتِ إلاَّ أبي وحده» (متى ٢٤: ٢٣-٢٤ و٣٦).

رغم تأكيد الرب يسوع الواضح ان زمن مجيئه الثاني لا يعلمه أحد إلاّ الآب، دأب شهود يهوه منذ تأسيسهم على تحديد تواريخ محدَّدة لمجيء المسيح، وقد أثبت التاريخ نفسه بطلان ادعاءاتهم إذ لم يحدث أي شيء.

لما أطلق تشارلز راسل، مؤسس شهود يهوه، دعوته في الولايات المتحدة عام ١٨٧٢ أعلن ان مجيء المسيح ونهاية العالم سيكونان عام ١٨٧٦. لكن سرعان ما أعلن انه أخطأ في الحساب وان النهاية ستكون عام ١٩١٤، وذلك استناداً إلى حساب خاص. كيف؟ الإصحاح ٢٤ من إنجيل متى يتحدَّث عن دمار أورشليم ونهاية العالم، والإنجيلي لوقا يكتب: «وتكونُ أورشليمُ مدوسةً من الأممِ حتى تُكمَّلَ أزمنةُ الأممِ» (٢١: ٢٤). يعتبر شهود يهوه ان هذا الكلام يتحقق حرفياً ونبوياً. لقد تحقق حرفياً عندما دُمِّر هيكل أورشليم عام ٧٠ م. أما التحقق النبوي فيستند على حسابات لمعرفة متى «تكتمل أزمنة الأمم». هنا يعودون إلى سِفر دانيال النبي الذي يذكر ان ملك بابل نبوخذنصّر، الذي احتل أورشليم عام ٦٠٧ ق.م. رأى في الحلم انه بعد سبعة أزمنة سوف يأتي قضاء الله عليه (٢٣:٤) واستناداً إلى الإصحاح ١٢ من سِفر الرؤيا فإن الزمن يساوي ٣٦٠ يوماً. فالمرأة في هذا الإصحاح التي ولدت ابناً ذكراً يرعى جميع الأمم بعَصاً من حديد، ذهبت إلى البرية ثلاثة أزمنة ونصف، أي ١٢٦٠ يوماً. وهكذا فإن سبعة أزمنة تساوي : ٣٦٠×٧ = ٢٥٢٠ يوماً. وبحسب حزقيال النبي فإن كل يوم يساوي سنة (٦:٤)، وبالتالي فإن حساب نبوخذنصر سيكون بعد ٢٥٢٠ سنة من تاريخ حلمه عام ٦٠٧ ق.م.، أي عام ٢٥٢٠-٦٠٧=١٩١٣م زائد سنة صفر بين عام ١ ق.م. و١ ب.م. فتصبح النتيجة عام ١٩١٤. وهكذا أعلن راسل: «من السنة ١٩١٤ سيبدأ ملكوت المسيح على الأرض وسيقوم الأموات وتشكّل حكومة الله

عنّي العارَ بين الناس* ولمَّا تمَّ زمانُ وَضْعِها ولدت ابناً فسمع جيرانُها وأقارِبُها انَّ الربَّ قد عظَّم رحمتَهُ لها ففرحوا معها* وفي اليومِ الثامن جاءوا ليختُنوا الصبيَّ فدَعَوهُ باسم أبيهِ زخريا* فأجابت أمُّهُ قائلةً كلاَّ لكنَّه يُدعى يوحنَّا* فقالوا لها ليسَ أحدٌ في عشيرتِكِ يُدعى بهذا الإسم* ثمَّ أومأوا إلى أبيهِ ماذا يريدُ أن يُسمَّى. فطلب لوحاً وكتب فيه قائلاً اسمُهُ يوحنَّا. فتعجَّبوا كلُّهم وفي الحال انفتحَ فمُه ولسانُه وتكلَّم مباركاً الله. فوقع خوفٌ على جميعِ جيرانِهم وتحدّث بهذه الأمورِ كلِّها في جميعِ جبال اليهودية* وكان كلُّ مَن يسمع بذلك يحفظُهُ في قلبه ويقولُ ما عسى أن يكون هذا الصبيُّ. وكانت يدُ الربِّ معه* فامتلأ أبوهُ زخريا من الروح القدس وتنبَّأ قائلاً: مباركٌ الربُّ إلهُ إسرائيلَ لأنَّه افتقد وصنعَ فِداءً لشعبه* وأنت أيُّها الصبيُّ نبيَّ العليِّ تُدعى لأنَّك تسبقُ أمام وجه الرب لِتُعِدَّ طُرُقَه* أمَّا الصبيُّ فكان ينمو ويتقوَّى بالروح وكان في البراري إلى يومِ ظهورهِ لإسرائيل.

الثيوقراطية في أورشليم من إبرهيم والرجال العظام الآخرين للعهد القديم» (من كتاب ليأتِ ملكوتك). ما لا نفهمه هنا ولا يفسره شهود يهوه هو ما علاقة الحكم على نبوخذنصر بنهاية العالم والمجيء الثاني.

ما حصل في العام ١٩١٤ هو الحرب العالمية الأولى مما دفع لاحقاً رذرفورد، خليفة راسل، أن يعلن عام ١٩٢٥ عاماً لمجيء إبرهيم وإسحق ويعقوب، حتى انه طلب من أتباعه تجنّب الحمل ليكونوا مستعدين. تجمع أتباع شهود يهوه ليل ٦ شباط ١٩٢٥ في إحدى ساحات نيويورك لابسين أكفاناً بيضاء، ولكن أحداً لم يأتِ. تشتتوا عام ١٩٣١، ومتابعة في نفاقهم، أعلنوا ان المسيح أتى فعلاً عام ١٩١٤ ولكنه الآن يحكم في السماء، وفي سنة ١٩١٨ بدأ المصف السماوي بالحكم مع يسوع في السماء، ومجيء يسوع على الأرض سيكون مع انتهاء جيل ١٩١٤. منهم من قال ان الجيل هو ٨٠ سنة وان المجيء على الأرض سيحدث عام ١٩٩٤، وذلك استناداً إلى الآية: «أيام سِنينا هي سبعونَ سنةً وإن كانت مع القوّة فثمانونَ سنةً» (مز ٩٠:١٠). طبعاً لم يحدث شيء.

هذه الحسابات تظهر نفاقهم. فبعد ان كان الحديث عن السنة ١٩١٤ انها السنة التي يبدأ فيها ملكوت المسيح على الأرض ويقوم الأموات، صارت هي السنة التي فيها ابتدأ ملكوت الله السماوي حكمه الفعلي (من كتاب الحق الذي يقود إلى الحياة الأبدية) وان المسيح قد حضر فعلاً في السماء ومجيئه على الأرض مرتبط بانقضاء الدهر والأيام الأخيرة. ونحن لا نراه لأن «يسوع هو شخص روحي خالد وممجد فلا عجب إذا كان حضوره لا يُدرك بالحواس البشرية» (من كتاب هذه هي الحياة الأبدية). وبالتالي صار الحديث عن قيامتين: روحية في السماء وجسدية على الأرض، وصار الحديث عن ملكوتين: سماوي وأرضي. وهذا كلام غريب بالكلية عن الكتاب المقدس. فالحديث في الكتاب هو فقط عن ملكوت واحد، ملكوت السموات.

هذه بعض التواريخ التي تظهر نفاق شهود يهوه. ولكنهم كانوا لغاية الأمس القريب يعلنون تواريخ شتى عن مجيء المسيح الثاني، حتى انهم اقتنعوا هم أنفسهم بعدم جدوى تحديداتهم فأعلنوا في ١٣ تشرين الثاني ١٩٩٥ في لندن عبر مجلتهم «برج المراقبة» ان المهم ليس تحديد تاريخ بل العمل على إرضاء يهوه والعمل بوصاياه. بالنسبة لنا يكفينا الكتاب المقدس وتعاليم الرب الموجودة فيه. المهم أن نكون على استعداد لملاقاة وجه الرب حتى إذا ما وافانا الموت فجأة أو حدثت نهاية العالم فجأة نكون مستعدين ومصابيحنا مليئة بالزيت.

رحلة

تقيم رعية القديس جاورجيوس – الرميل رحلة إلى اليونان من ٢١ آب ٢٠٠٧ وحتى ٣١ منه تشمل زيارة الكثير من الأماكن الكنسيّة والسياحية والجزر مثل زيارة أضرحة القديسين اسبيريدون (جزيرة كركيرة)، ديمتريوس (تسالونيكي) ونكتاريوس (جزيرة ايجينا) والميتيورا وجبل آثوس وغيرها.

لمزيد من المعلومات الاتصال بمكتب الرعية على الرقم ٠١/٥٨٤٩٥٣ أو ٠٣/٣٣٥٥٤٤

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb